الفصل الرابع

الأقبـــاط وإسرائيل

obeikandl.com

obeikandl.com

الأقبـــاط وإسرائيل

فرضت الأحداث نفسها على اللقاء مع قداسة البابا شنودة ..

حكومة إسرائيل تقتل وتشرد وتسجن الفلسطينيين .. وتحرمهم من الوطن .. ولقمة العيش ..والكرامة .. ثم يدَّعون فى إسرائيل أن هذه الحكومة تحقيق لنبوءة التوراة .. هل يأمرهم الرب بكل هذه الوحشية ؟ ..

وقداسة البابا شنودة الذى خرج فى شبابه المبكر فى المظاهرات المطالبة بالحرية ومحاربة الاستعمار ، والذى عاش فى مدرسة الوطنية المصرية تلميذا مخلصا ، ثم معلما كبيرا .. ما زال على موقفه منذ ربع قرن .. يرفض زيارة القدس .. يرفض دخول المدينة المقدسة وهى تعيش تحت الحصار .. مدينة الله أسيرة العدوان .. فلا يدخلها المؤمنون إلا رافعى الرؤوس .. ولن يدخلها الأقباط إلا مع المسلمين .. كنيسة القدس والمسجد القدسى تحيط بهما الدبابات الإسرائيلية معا .. والجرح ينزف من المسلمين والمسيحيين معا ..

وبعد حوار طويل مع قداسة البابا ، كان – كعادته – مثل القاضى ، يقدم الحيثيات فى تسلسل واقعى منطقى ، ثم يصدر الحكم .

والحكم عند قداسة الباب يلخصه بنفسه فى نقاط محددة :

- لا أثق فى حكومة إسرائيل ..
- ولا أثق فى نوايا إسرائيل ..

- ولا أثق فى صدق رغبتها فى السلام ..
- ولا أثق فى أمانتها على المقدسات المسيحية والإسلامية .

وحيثيات حكم قداسته المتقدم جاءت من خلال الحوار الذى جمع بين بعض الأمور العقائدية والأمور السياسية .

□□□

قلت : قداسة البابا .. فى أوربا وأمريكا يطلبون منا أن نفتح صفحة جديدة مع إسرائيل ونتبادل معها العلاقات الطبيعية .. هل مازلت عند موقفك من رفض زيارة الأقباط لإسرائيل حتى لزيارة القدس .. ؟

ونظر إلىَّ البابا شنودة لحظة ، ثم قال مستغربا :

ولماذا أغيّر موقفى .. هل غيرت إسرائيل موقفها .. ؟

موقفى لم يتغير ، ولن يتغير ، لأنه مبنى على أساس عقيدى .. تغير مواقف العرب هو الذى أضعف القضية .. أيام عبد الناصر كان يقول : إسرائيل المزعومة .. ولا يعترف بإسرائيل كدولة .. تغير الموقف أيام السادات وأبرمت معاهدة .. فى أيامنا الحالية تعترف كل الدول العربية بدولة إسرائيل .. وانتقلت إسرائيل من « التطبيع » إلى « الهيمنة » .. وأصبحت تهيمن على الموقف .. تمنح ماتشاء .. وتمنع ماتشاء .. وكأنها هى وحدها سيدة الموقف عامة مع العرب .. وبخاصة مع الفلسطينيين .. وحتى أصبح ماتعطيه لهم مجرد منحة وتفضل ، وليس حقا من الحقوق المشروعة تعيده إليهم بعد أن سلبته غصبا لسنوات طويلة .. ولا ندرى بماذا ينتهى الموقف الحالى ؟ ، إنها أيام عصيبة جدا ، بل لعلها أصعب الأيام التى مرت على الشعب الفلسطينى منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ حتى الآن ١٩٩٧ .. !

قلت : وزيارة القدس يا قداسة البابا ؟

قال :

ما زال موقفنا كما هو ، فنحن لا نغير موقفنا ، وموقفنا مبنى على قواعد سليمة ، وأنا أقول لأبنائى : إن الله لا يدخل المسيحيين إلى ملكوته لأنهم زاروا الأماكن المقدسة ، وإنما يدخلهم ملكوته بنقاوة القلب ، وقداسة السلوك ، والعلاقة الطيبة مع الله ..

ثم ابتسم البابا شنودة وهو يقول :

إننى أقول لأبنائى : هل تريدون زيارة الأماكن المقدسة .. زوروها فى مصر .. فنحن فى مصر لدينا أراض مقدسة .. فالعائلة المقدسة زارت مصر ، ولها مواضع كثيرة فى الطريق الذى سلكته ، والأديرة الموجودة عندنا هى أقدم أديرة فى العالم كله .. والكنيسة القبطية هى أم نظام الرهبنة فى العالم .. أول راهب فى التاريخ هو القديس انطونيوس ، وهو قبطى من صعيد مصر ..

قلت : ولكنى أسمع بعض أصدقائى الأقباط يقولون : إنهم يريدون تحقيق أمنية لهم بزيارة القدس .. وهذا اعتقاد شعبى مسيحى مصرى وليس من فروض العقيدة المسيحية .. ؟

قال :

أعرف أن كل مسيحى فى مصر يريد أن يقدّس ، أى أن يزور القدس .. وأقول لهم : أولا ليس فى المسيحية فريضة الحج .. زيارة القدس ليست من أركان الدين المسيحى .. وأقول لهم ثانيا أنا أعرف هذه الرغبة ولكن إذا كان هذا يضر بقضية عامة .. قضية الوطن والشعب كله مسلميه وأقباطه

فماذا نفعل .. ؟ أليس الأفضل ألا نفعل .. ؟ وأقول لهم ثالثا : أنا شخصيا لم أزر القدس والأماكن المقدسة بها ، وأذكر أن عجوزا مسيحيا قال لى : أريد قبل أن أموت أن أرى الأرض التى عاش عليها المسيح فقلت له : مت وأنت مطمئن وسوف ترى المسيح نفسه وتعيش معه أيضا .. وأقول لأبنائى أيضا : إن السماح بزيارة المسيحيين للقدس فى ظل الأوضاع الحالية يعنى ضمنا الرضا والقبول بما تفعله إسرائيل ، وهذا مستحيل ، ويعنى تطبيع العلاقات معها فى ظل الاحتلال والدبابات واغتصاب الأرض العربية وهذا لن يحدث ، لأن وضع الاحتلال الإسرائيلى غير طبيعى ، وغطرسة الإسرائيليين أيضا غير طبيعية ..

وأقول لأبنائى أخيرًا إن زيارتكم لإسرائيل تنشط السياحة الإسرائيلية وتقوى اقتصاد إسرائيل ، فكيف تذهبون وتنفقون أموالكم هناك وتكونون مصدر دخل للإسرائيليين ليكون هذا الدخل وهذا الاقتصاد ضد العرب ؟ .. كما أننى أخشى على من يذهبون أن يتعرضوا لعمليات « غسيل مخ » بطرق مختلفة ، ويمكن أن يجندوا بعض شبابنا السذج لمصلحتهم .. وكل هذا له تأثير معنوى سيئ علينا وتأثير إيجابى يفيد إسرائيل .. زياراتكم مهما تكن أسبابها تحمل معنى الرضا بالأمر الواقع ..

وأخيرا أقول : إن قرارى بمنع أبنائى الأقباط من زيارة إسرائيل أنا مقتنع به بناء على مبادئ معينة فى داخلنا ، وهذا القرار ليس نابعا من سياسات ..

ثم ابتسم البابا بمرارة وقال :

لقد قاسيت كثيرا بسبب هذا القرار .. وهاجمنى بسببه بعض الأقباط ..

وبعض الصحف جعلت هذا الهجوم قضيتها الأساسية .. ولكنى سأظل على موقفى والرب معى ..

□□□

قلت : أعود إلى فكرة أن أرض مصر أرض مقدسة وأن حج المسيحيين إليها أولى .. على أى أساس يا قداسة البابا ؟

قال :

على أساس أن أرض مصر أرض مقدسة .. ورد اسمها كثيرا فى الكتاب المقدس .. هذه الأرض التى شرفها بالزيارة عدد كبير من الأنبياء .. فى مقدمتهم أبو الانبياء إبراهيم .. وأيضا يوسف الصديق .. وأرميا النبى .. وقدسها أخيرا السيد المسيح حينما أتاها طفلا هاربا من اليهود تحمله على كتفها العذراء مريم الطاهرة ..

قلت : مادمنا نتحدث عن مقدسات وأساطير اليهود فهم يقولون : إن سيناء ضمن أرض الموعد .. ؟ !

قال :

لا .. ليست من أرض الموعد .. كل دارس للكتاب المقدس يفهم أنها كانت أرض المتاهة أو أرض العقوبة أو أرض الإفناء .. كان يمكن لله عز وجل حين أخرج اليهود من أرض مصر أن ينقلهم إلى فلسطين فى أيام قليلة فى طريق مباشر ، ولكنه فرض عليهم التيه أربعين سنة فى هذا القفر .. فى أرض سيناء لكى يفنى هذه المجموعة المتمردة التى حاولت أن ترجم موسى وتختار رئيسا آخر بدلا منه ، وفى سيناء مات كل الذين جاءوا من

أرض مصر ، ولم يدخل منهم إلى فلسطين إلا يشوع بن نون وكالب بن يفنه فقط لاغير .. ! هذا مايقوله الكتاب المقدس .

وأرض سيناء – كما سبق أن قلت كثيرا – تحمل الكثير من الذكريات المريرة والمخجلة والمؤلمة لليهود .. هى التى شهدت تذمر اليهود من الله .. وشهدت كيف أنهم تركوا عبادة الله وعبدوا العجل الذهبى ؟ .. وشهدت كيف غضب منهم موسى النبى وكسر لوحى الشريعة فى غضبه ؟ .. وهى الأرض التى شهدت عقاب الله لهم ، حين اشتهى اليهود أن يأكلوا لحما وبكوا طالبين اللحم ، فأعطاهم الرب لحما وضربهم ضربة شديدة أهلكت الآلاف منهم فى ذلك اليوم .. وهى أرض ابتلعت قورح وداثان وابيرام كعقوبة من الله لهم .. هى الأرض التى لا يشرفهم أن يسترجعوا ذكريات تاريخهم فيها .. لم تكن أرض بركة لهم .. ولكنها كانت أرض متاهة وعقاب من الله ..

□□□

قلت : قداسة البابا .. إسرائيل كما نعرف دولة لا شرعية لها إلا مايقولون إنه فى الكتاب المقدس .. فأين الحقيقة .. ؟

قال :

الحقيقة .. الوضع الحالى لايسنده شىء فى الكتاب المقدس ، لا فى المرحلة الأولى التى كان الله يحكم فيها مباشرة عن طريق أنبيائه ، ولا فى المرحلة الثانية التى كان يحكم الملوك فيها تحت إرشاد الله وتوجيهات الأنبياء .. تلك المرحلة التى كان الله هو الذى يعين الملك .. والله يعين السبط الذى يختار منه الملك ، وكان سبط يهوذا ، والله كان يعين الشخص بالذات ..

وكان الله يرسل أحد أنبيائه لكى يمسح رأس هذا الملك بالدهن المقدس .. وكان الملك لذلك يسمى « مسيح الرب » لأنه مُسح من الرب بالدهن المقدس .. ويتسلم نسخة من الشريعة الإلهية ليحكم بها .. هذه هى عقيدتهم .. ولا تنس مرحلة كانوا يقتلون فيها الأنبياء ويلقون بهم فى السجون ، ولذلك قال لهم المسيح : « يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها .. كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » . وقال لهم الله : « وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع .. أيديكم ملآنة دما » .

الذين يقول : إن اليهود انتهى أمرهم كشعب يحفظ وديعة ويسلمها للمسيحية ، وانتهت رسالتهم .. ولم يعد ممكنا أن يتجمع أصحاب دين فى أرض واحدة .. كما أن الرجوع لا يجوز فى الديانة اليهودية اعتمادا على مساعدة بشرية .. أو اعتمادا على دولة معينة ، وإلا فسيقال : إن أمريكا هى التى أرجعت اليهود وليس الله هو الذى أرجعهم .. ولا توجد حكمة لهذه العودة .. وهل يريد الله أن يظلم شعبا ليعيد شعبا آخر ..

قلت : تقولون فى العقيدة المسيحية انتهى دور اليهود .. ؟

قال :

نعم .. انتهى دور اليهود كمجموعة تحمل الإيمان ..

قلت : وما الموقف الآن .. ؟

قال :

الآن أصبح الايمان بوجود الله فى كل ركن من أركان الأرض .. ولم

يعد من المعقول ولا من الممكن أن نجمع المؤمنين بالله من أرجاء العالم كله ومن كل القارات لكى نضعهم فى قطعة أرض معينة .. فكرة « المعزل الدينى » استوفت وقتها وانتهت .. معقول أن نفهم عزل مجموعة مؤمنة فى عالم أغلبيته وثنية .. ولكن لا نستطيع أن نعزل العالم كله بعيدا عن قلة من اليهود .. العالم غالبيته مؤمنة الآن ، ولذلك انتهت فكرة « المعزل الدينى » ولم تعد هناك حكمة من وجود أرض يقبع فيها اليهود أو غير اليهود .

□□□

قلت : وماذا عن فلسطين أرض الميعاد .. ؟

قال :

أريد أن يفهم الذين لا يعرفون الكتاب المقدس جيدا أن اليهود مروا على ثلاث مناطق : مصر ، وسيناء ، وفلسطين .. مصر بالنسبة لهم كانت أرض عبودية .. ذلوا فيها بسبب خطاياهم .. وسيناء بالنسبة إليهم كانت أرض متاهة ، وأرض عبور ، وأرض فناء ، وأرض عقوبة .. أما فلسطين بالنسبة إليهم فكانت مسكنا مؤقتا كمعزل دينى ، وأحب أن يفهم الجميع هذه الفكرة كما سبق أن شرحتها عدة مرات ..

فى الوقت الذى جمع فيه الله اليهود فى أرض فلسطين ، كان العالم كله مليئا بالوثنية ، وكان الناس يعبدون الأصنام .. الفئة الوحيدة التى كانت تعبد الله هى هذه الفئة .. أبناء إبراهيم .. ونحن لا ننكر إطلاقا أن منهم خرج الأنبياء .. كانت مجموعة مؤمنة فى ذلك الحين ، أراد الله أن يجمع هذه الفئة المؤمنة فى أرض تكون بالنسبة لهم بمثابة « المعزل » .. حرم عليهم التزاوج من غير اليهود .. وحكمة « المعزل » هى أن يبقوا محتفظين بالعقيدة

حتى تنتقل إلى جيل آخر يؤمن بالله .. والذى حدث أنهم استطاعوا أن يحتفظوا بالإيمان بصعوبة كبيرة ، بعد فترات عبدوا فيها الأصنام ، وتركوا الله فى أوقات كثيرة ، وعندما جاءت المسيحية تسلمت ما عند اليهود من وديعة .. الكتب المقدسة ، والعقائد ، والرموز ، والطقوس الدينية ، والإيمان ذاته ..

وبعد ذلك انتهى دور اليهود .. !

□□□

قلت : إذا كانت هذه هى عقيدة المسيحية بالنسبة لأرض الميعاد فكيف تنظرون إلى فكرة « شعب الله المختار » .. ؟

قال :

هذه الفكرة أيضا انتهت .. الله اختار اليهود فى الزمن القديم ليحملوا الإيمان .. ليس بسبب أنهم يهود .. إنما بسبب أنهم كانوا المجموعة الوحيدة التى تعرف الله ماعدا قلة متفرقة فى جهات أخرى ..أما الآن فقد أصبح الشعب المختار هو كل من يؤمن بالله .. فى رسائل بولس الرسول وفى الكتاب المقدس عموما نرى أن كلمة « المختارين » معناها « المؤمنون » لأنه من غير المعقول أن يرفض الله كل من يؤمن به ، ويقول لكل المؤمنين فى الأرض : لا أعرفكم ..أنا لا أعرف ولا اعترف إلا باليهود .. هذا كلام غير منطقى ..

وأذكر أننى عندما التقيت بالرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى البيت الأبيض سألنى كارتر فى بداية اللقاء وهو يضحك :

هل صحيح أنك تقول : إن اليهود ليسوا شعب الله المختار .. ؟

فأجبته باختصار شديد :

ياسيادة الرئيس .. إذا كانوا هم شعب الله المختار فماذا أكون أنا وأنت .. ؟

وضحك الرئيس كارتر أكثر ..

فالله ليست عنده محاباة .. الله ليس عنصريا .. الله لا ينحاز لشعب معين وهو خالق كل الشعوب .. سبحان الله جل اسمه عن الانحياز .. الله هو إله الكل .. كل البشر خليقته .. ورعيته .. وصنعة يديه .. وهو إله لجميع الشعوب على الأرض .. وكل المؤمنين رعية الله وشعبه المختار ..

لذلك أقول دائما ومنذ عشرات السنين :انتهت فكرة شعب الله المختار .. وانتهت فكرة تخصيص أرض يجلس فيها مثل هذا الشعب .

□□□

ثم قال البابا شنودة :

هل تعرف بقية عقيدة اليهود ؟ .. هم يقولون : إن الله عزل مجموعة من المؤمنين به فى أرض معينة .. هذه المجموعة أراد الله أن يقودها بنفسه .. يقولون : إن المرحلة الأولى من مراحل المملكة اليهودية كان فيها الله هو الملك ، واليهود هم الشعب ، أى أنهم كانوا تحت حكم الله نفسه ، كان الله هو الحاكم وهو المشرع وهو الذى يضع الوصايا والنظم ويرشدهم فى الحروب .. لا يستطيعون أن يحاربوا إلا بإذنه وتوجيهه المباشر ، وهو الذى يحدد الزمان والمكان والقادة .. الله هو الحاكم عن طريق أنبيائه وعن طريق كهنته ..

هذا أمر غير موجود حاليا .. فكرة أن الله هو الذى يحكم بنفسه ،

ويكون هو الملك فكرة غير موجودة .. الله لا يحكم بنفسه .. وليس لديهم نبى يقودهم فى الحروب ..

قلت : وماذا عن الآيات التى تشير إلى عودة اليهود .. ؟

قال :

لابد من فهم هذه الآيات فى السياق التاريخى .. ولأن أكثر العرب لم يدرسوا التاريخ جيدا فإنهم يقتطعون هذه الآيات من سياقها ..

فى القرن الثامن قبل الميلاد حدث أن سُبى اليهود إلى أرض آشور ، وفى القرن السادس قبل الميلاد سُبى اليهود إلى بابل ، وعندما وقعوا فى السبى وأُخذوا من أرضهم أسرى حرب إلى تلك البلاد ، وعدهم الله فى ذلك الحين أنهم سيرجعون إلى أرضهم مرة أخرى .

وذكرت تلك الآيات فى حينها أنهم أعادوا بناء سور أورشليم ، وبناء الهيكل على يد زربابل ، وأصبح اسمه هيكل زربابل وليس هيكل سليمان .. وتحققت تلك النبوءات التى تتكلم عن رجوع اليهود إلى أراضيهم فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وأصبحت هذه الآيات إشارات إلى الماضى السحيق ، قبل ميلاد المسيح بخمسة قرون ، وليس لهذه الآيات علاقة بوضعنا الحاضر وبأيامنا الحاضرة .

فى الكتاب المقدس أن اليهود عادوا فى عهد قورش الفارسى ..أمور تمت وانتهت .. ونبوءات قديمة انتهت .. ولا علاقة لها إطلاقا بالوضع الحالى ..

ولذلك فإن وعد الله لبنى إسرائيل الذى جاء فى الكتاب المقدس يتعلق بالماضى .. وهو ليس وعدا يتصل بالمستقبل وليس وعدا دائما ..

والوعد موجه إلى يهود الماضى وليس إلى يهود الحاضر ..

□□□

قلت : وماذا عن مملكة اليهود .. ؟

قال :

هذا موضوع طويل ملخصه أن فكرة المملكة بدأت كفكرة خاطئة .. وتمرد على حكم الله .. وكانت مجرد تقليد للأمم .. على أن الله نفذ لهم فكرتهم ، وأقام لهم مملكة ، واحتفظ الله بإجراءين لحفظ المملكة من الانحراف : أولهما أن يكون الملوك باختيار من الله ، وثانيهما أن يحكموا طبقا لشريعته ووصاياه ، وخالفوا الله فى القاعدتين وأقاموا الملوك بغير اختيار الله ، وتجاهل الملوك الشريعة وساروا فى الفساد حتى عبدوا الأصنام وجرّوا الشعب معهم ، وبعد سليمان انقسمت المملكة إلى اثنتين : مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل . مملكة إسرائيل عبدت الأصنام منذ يومها الأول حتى السبى . ومملكة يهوذا تمسكت قليلا بالرب ثم انحرفت هى الأخرى إلى عبادة الأصنام فأسلمها الرب كذلك إلى السبى ..

المهم أن نعرف أن موضوع المملكة كان فى الماضى وليس فى الحاضر أو المستقبل ..

□□□

قلت : ويقولون : إنهم « أولاد ابراهيم » .. ؟

قال :

أقول لك ما قاله لهم يوحنا المعمدان : « يا أولاد الأفاعى ، أراكم تهربون من الغضب الآتى ، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولاتفتكروا أن تقولوا فى

أنفسكم لنا ابراهيم أبا .. لأنى أقول لكم إن الله قادر على أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم » . والنبوة لإبراهيم كانت موضوع نقاش بينهم وبين السيد المسيح كما يروى يوحنا الرسول .. « قالوا له : أبونا إبراهيم .

قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تريدون أن تقتلونى ، أنتم من أب هو ابليس .. » ومعنى ذلك أن المسيحية ترى أن هناك نوعين من النبوة لإبراهيم : نبوة جسدية ، ونبوة روحية ، والنبوة الجسدية لاتفيد شيئا ..

وفى الكتاب المقدس أن الله رفضهم بآيات صريحة فى العهد القديم والعهد الحديث فى سفر أرميا النبى : « كلهم عصاة متمردون .. كلهم مفسدون .. الرب قد رفضهم » ويقول الرب : « نزعت سلامى من هذا الشعب » ويقول : « إنى أرفضكم » .

وفى سفر هوشع النبى يقول لهم الله : « لستم شعبى ، وأنا لا أكون لكم » .. وعشرات الآيات تتحدث كيف يرفضهم الله ؟ .. ويرفض شفاعة الأنبياء فيهم .

□□□

قلت : إن كل هذا جديد بالنسبة لى .. فلم يسبق أن شرحتم للناس حقيقة الأفكار التى تروّجها الصهيونية على أنها من الكتاب المقدس ، وهم الآن يقولون : إن القدس هى أورشليم مدينتهم المقدسة هم وحدهم دون بقية الأديان .. ؟

قال :

كلمة « أورشليم » هى « مدينة الملك العظيم » ويمكن أن ترمز إلى

الكنيسة ، كما يمكن أن ترمز إلى النفس البشرية ، ونحن نعتبر أن كل واحد من المؤمنين هو هيكل لله ، وروح الله ساكن فيه كما قال الكتاب المقدس . لذلك عندما أرتل بالمزامير فى صلاتى وأقول : « سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك ياصهيون » إنما أوجه الكلام إلى قلبى ، وإلى نفسى ، أدعو القلب أن يسبح لله ، والنفس أن تسبح لله .. لذلك إذا وجدت فى صلواتنا أو فى تراتيلنا هذه العبارات فإنها تعنى المعنى الرمزى ليس غير ، لهذه الكلمات فى قاموسنا الروحى معنى ، ولها فى لغة أولئك الناس معنى آخر .

الله سمح بأن تخرب أورشليم وأن يهدم سورها ، وسمح بأن يجلس اليهود أسرى يبكون على أنهار بابل ، وسمح الله أيضا بأن يهدم الهيكل ، وكما قال السيد المسيح : « لا يترك حجر على حجر فيه إلا وينقض » .. وكما سمح الله بأن تخرب أورشليم سمح أيضا أن يتشتت اليهود فى أرجاء الأرض .. ويقولون : إن عودتهم تحقيق لنبوءة وإرادة الرب .. أين هى ؟ وأين الإعلان الإلهى بذلك ؟ وأين القائد الإلهى الذى يقود الرجوع .. أم هو مجرد عمل بشرى وأطماع سياسية لا علاقة لها بالدين ؟ هذا هو الأساس الذى تقوم عليه إسرائيل : أهداف وأطماع سياسية لاعلاقة لها بالدين ؛ لأنها ليس لها أساس فى الدين .. من الممكن أن يقول الله : إن بريطانيا هى التى أرادت لهم العودة وساعدتهم .. وإنهم عادوا بإرادة بريطانيا .. وبإرادة الولايات المتحدة الآن .. ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا بحق إنهم هنا تحقيقا لإرادة الله وتحقيقا لوعد منه .

وما هى الحكمة فى أن يتدخل الله مباشرة ليعيد اليهود إلى هذه الأرض ؟ .. قديما كانت الحكمة أن يعزلهم الله عن الكفار والوثنيين .. لأنهم كانوا هم

وحدهم المؤمنين بالله على الأرض .. هل يمكن أن يقبل عقل سليم أو قلب مؤمن أن يأمر الله العادل بالظلم .. بأن يعيد اليهود .. بأن يظلم أناسا آخرين من خلقه يؤمنون به ويعبدونه .. ويطردهم من أرضهم وديارهم ؟

□□□

ويقولون إنهم يريدون إعادة بناء هيكل سليمان .. ؟ هل هذا ممكن ؟

الهيكل مكان لتقديم الذبائح والمحرقات وللعبادات القديمة ، وفى الطقس اليهودى القديم كان اليهود يقدمون محرقة فى الصباح ومحرقة فى المساء . والمحرقة عبارة عن ذبيحة تذبح وتوقد فيها النار ، وتظل النار مشتعلة فيها لاتطفأ وتغذى باستمرار .. وكانت النار موجودة باستمرار لاتنتهى .. وكانت هذه الذبائح جميعا رمزا للذبيحة السيد المسيح .. وكل يهودى كان يأتى بذبيحة ويقدمها فى الهيكل تكفيرا عن خطاياه .. فهل يمكن حاليا أن نرى هيكلا ملطخا بالدماء ليل نهار فى كل يوم تذبح فيه مئات الذبائح ، وتحرق بالنار ، وتظل النار فيه مشتعلة ليل نهار ..

هل يمكن أن تكون هذه هى عبادة الله ؟ .. وهل يمكن أن يقبل العقل فى القرن العشرين هذه الصورة للعبادة ؟ .

كان ذلك تاريخا قديما ..

كانت هذه هى العبادة فى العهد القديم كناحية رمزية يريهم الله أنه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة .

أما الآن فإن طلب المغفرة يتفق مع درجة نمو العقل والروح التى وصل إليها البشر .. وكثيرا ما يسألنى الناس : ما رأيكم فى تبرئة اليهود من دم المسيح .. ؟

وأجيب دائما بأن الذين يبرئون اليهود من دم المسيح يعطونهم شيئا لا يجرؤ اليهود أنفسهم على طلبه .. لا يستطيع اليهود إطلاقا أن يطلبوا تبرئتهم من دم المسيح .. السبب بسيط .. اليهود لا يعتقدون أن المسيح قد جاء فكيف يطلبون تبرئتهم من دم شخص يرفضون الاعتراف بمجيئه ولا يؤمنون بأنه جاء أصلا .. ؟

كان يجب على الكنيسة أولا أن تسأل اليهود : هل تريدون إعلانا بتبرئة اليهود من دم المسيح ؟ .. أى مسيح تقصدون .. ؟ من هو المسيح الذى تتحدثون عنه .. ؟ وهل جاء .. ؟ ومتى جاء .. ؟ وكيف .. ؟ ومن ولدته .. ؟ ولماذا جاء .. ؟ هل جاء بكتاب مقدس أو لا .. ؟ فإذا أجابوا عن هذه الأسئلة يمكن أن نبحث إن كانت براءتهم ممكنة أو غير ممكنة .. ؟

اليهود ينتظرون حاليا مسيحا يولد ليكون قائدا حربيا من نوع شمشون الجبار أو من نوع جدعون أو باراق أو يفتاح .. !

وهم يرفضون المسيح الوديع وينتظرون المسيح الحربى العنيف الذى يقود جيوشهم فى القتال .

والذين يريدون إعادة الهيكل ويتصورون إمكان إشعال النار الدائمة فيه وتقديم الذبائح فيه باستمرار نقول لهم من الذى يقدم الذبائح .. ؟

الكهنوت فى الشريعة اليهودية هو الذى يقوم بتقديم الذبائح .. والكهنوت فى الشريعة اليهودية لابد أن يكون من نسل هارون من سبط لاوى .. وفى العصور القديمة كان اليهود يدققون تدقيقا كبيرا جدا فى الأنساب ويعرفون شجرة النسب لكل شخص .. وبعد أن سُبوا إلى بابل بدأوا يتزاوجون

مع الشعوب الغريبة .. وحدث أن عزرا النبى بكى أمام الله ، وناح ، ونتف شعر رأسه ، ومزق ثيابه ، لأن الدم المقدس قد تلوث بالغرباء ..

الآن وقد خربت أورشليم سنة ٧٠ ميلادية ومر على خرابها ١٩ قرنا .. خراب الأوضاع الخاطئة التى فيها لبناء أوضاع سليمة .. وبعد أن عاش اليهود ١٩ قرنا مع كل الشعوب فى العالم فأين يجدون الكهنوت من نسل هارون من سبط لاوى .. هل سيجدونهم قادمين من أمريكا .. أو من روسيا .. أو من الحبشة .. أو من بولندا ؟ .. هل سيصبح الكهنوت اليهودى أمريكيا .. من نسل أبناء تكساس مثلا .. ؟

□□□

قلت : يا قداسة البابا .. يبدو أن لديكم رؤية واضحة لما تريده إسرائيل .. ما هى .. ؟

قال :

فى رأيى أن نوايا إسرائيل تهدف إلى السيطرة على كل القدس .. الغربية والشرقية .. وتهدف أيضا إلى إعادة بناء هيكل سليمان .. وربما تكون إعادة بناء الهيكل على حساب ضياع المسجد الأقصى وقبة الصخرة .. وقد قامت إسرائيل مرات عديدة بجس نبض العرب فوجدت أنهم يجنحون إلى السلم دون أن تجنح هى له .. ويحتجون على المواقف ويشجبونها ثم ما تلبث ثورتهم أن تهدأ .. وتصبح هذه المواقف واقعا عمليا ..

وكثيرا ما قلت : إن الاكتفاء بسياسة الشجب يذكرنى بقول ذلك الأعرابى الذى قال عبارته المشهورة : أشبعونى ضربا وأشبعتهم سبا .. وإسرائيل لا تبالى بالسب أو الشجب .. لأنه ليس موقفا عمليا ولا اتجاها مضادا

قويا يمكن أن يعوق مسيرتها أو يهدد خططها .. بل وصل الأمر بإسرائيل إلى حد أنها لم تعد تبالى حتى باحتجاج رئيس أمريكا .. فهو يعلن رفض أمريكا لسياسة الاستيطان وهى مستمرة فى بناء المستوطنات ليس فى القدس فقط ، بل فى كل أنحاء الضفة .. وإسرائيل لا تبالى بمواقف أوربا .. ولا بمواقف الأمم المتحدة ولا مجلس الأمن ولا بالقانون الدولى ..

قلت : وكيف ترى القضية .. ؟

قال :

أراها صعبة .. وليس من مصلحة العرب أن يسهِّلوا الأمر على أنفسهم ويجعلوا المسألة بسيطة .. وأقول لك شيئا آخر .. من الناحية الدينية العبادة عندهم مجمدة .. لأن غفران الخطيئة فى العقيدة اليهودية يتوقف على ثلاثة أمور لابد من توافرها : الأمر الأول : هو تقديم الذبائح كفارة عن الخطايا ، ونحن فى المسيحية نرى أن ذلك كان رمزا فى العهد القديم وليس شرطا فى العبادة والغفران ، والأمر الثانى : هو وجود الهيكل لكى تقدم فيه الذبائح ، وليس مسموحا لهم عقيديا أن يقدموا الذبائح إلا فى الهيكل ولا يقدمونها فى أى مكان آخر ، ويرون أن الهيكل هو المكان المقدس الوحيد الذى اختاره الرب لهم ..والأمر الثالث : هو وجود النار المقدسة ، وكانوا يحتفظون بها فى تجوالهم أثناء خيمة الاجتماع التى سبقت الهيكل ، أو تنزل إليهم نار من السماء كدليل إلهى على قبول الذبيحة ..

إذن عقيدة اليهود لغفران خطاياهم يحتاجون إلى المكان المقدس الذى هو الهيكل ، ويحتاجون إلى الكهنوت اليهودى ، أى وجود كهنة من نسل هارون شقيق النبى موسى ولا يصلح كهنة آخرون غيرهم ، ويحتاجون إلى النار المقدسة ..

من هنا يبدو أن « الهيكل » ليس هدفا سياسيا .. ولكنه أمر عقيدى أساسى فى ديانتهم .

وهذا هو الذى يمثل الخطورة .

أما أن يقدموا ذبيحة ولا تنزل نار من السماء لقبولها ، فيدل ذلك على رفض الرب لهم رفضا إن كانوا حكماء يستفيدون منه ..

أما من جهة تسلسل كهنة من نسل هارون فهم يقولون إن عندهم هذه السلسلة من الأنساب ..

أما عن بناء الهيكل الجديد فهذا هو بيت القصيد .. وهو هدفهم الحقيقى .. هدم المسجد الأقصى لإقامة الهيكل مكانه لكى تقام الشعائر اليهودية المعطلة .. وهذا فى كتاباتهم وعقائدهم لمن يجيد القراءة ..

ومشكلة العرب أنهم لا يقرأون .. ولو قرأوا لعرفوا أن هناك عشرات الكتب تحوى كل الأجزاء ، والصور ، والتفاصيل التى كانوا يدبرون لها منذ زمن ، ويعدُّون كل شىء للأيام المقبلة .. !

□□□

قلت : يا قداسة البابا .. أشعر أن التفاؤل بعيد عن فكرك .. ؟

قال :

بصراحة .. فى داخلى لا أجد ما يريح بالنسبة لسنة ٩٧ بالذات .. رقم ٧ له دلالة ورموز عندهم .. فقد قامت الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ لذلك فإن عام ١٩٩٧ هو ذكرى مرور مائة عام على مؤتمر بازل بسويسرا الذى أعلنت فيه النوايا بوضوح ورسمت الخطط وقدم هرتزل التصور الكامل لكيفية إقامة دولة من العدم .. إذن عام ٩٧ له معناه ..

وقد حصلوا على وعد بلفور عام ١٩١٧ .. لاحظ رقم ٧ ولاحظ أن عام ٩٧ هو ذكرى مرور ٨٠ عاما على هذا الوعد .

وقد بدأ تقسيم القدس إلى شرقية وغربية عام ١٩٤٧ .. وبعدها قامت الحرب بيننا وبينهم عام ١٩٤٨ .

وكان دخولهم القدس واحتلالهم القدس الشرقية وأراضى العرب عام ٦٧ .

وانظر ما جرى فى عام ٩٧ .

ولا ندرى ماذا يدبرون ؟ .. وماذا سيفعلون مع وجود هذه السياسة التى لا تخفى نواياها المتشددة والعدوانية على لسان الحكومة الحالية ورئيس الوزراء نيتانياهو .. ؟ !

□□□

قلت : زياراتكم المتكررة لأمريكا جعلتك قريبا من فهم ما يجرى هناك .. كيف ترى موقف أمريكا .. ؟

قال :

معروف صداقة أمريكا لإسرائيل وانحيازها لها .. ومعروف تأثير اللوبى الصهيونى هناك ومازلنا نذكر خطاب نائب الرئيس الأمريكى آل جور فى تجمع اللوبى الصهيونى فى نيويورك الذى أظهر فيه الانحياز الأمريكى .. ومعروف أن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى تستعمل الفيتو لمنع إدانة كل عدوان إسرائيلى على العرب .. ولعل هذا له صلة بالانتخابات وتأثير اليهود فيها وسيطرتهم على الإعلام الأمريكى وعلى الشركات والبنوك الكبرى وهى التى تساهم فى تمويل الحملات الانتخابية .. وبخاصة أنهم دائما رأى

واحد وموقف واحد .. من الناحية الأخرى كان يمكن استخدام أصوات العرب فى أمريكا للضغط ، وهم الآن حاصلون على الجنسية الأمريكية ولهم أصوات فى الانتخابات هم وأولادهم .. ولكن ما مدى توحد كلمة العرب ؟ .. وما مدى استعدادهم لعمل إيجابى ؟ .. وما مدى استخدامهم لسلاح التصويت ؟ .. هذه مسألة مهمة ..

ومسألة أخرى مهمة أيضا ، هى أن اللوبى اليهودى فى أمريكا يتحرك بنشاط كبير فى دوائر التأثير على القرار ..فهم وسط أعضاء الكونجرس ، وهم فى موقع القيادة والتأثير فى الإعلام والاقتصاد الأمريكى ..

وأخيرا أقول لك .. هل ما تفعله الحركة الصهيونية خاف أو مستتر ؟ .. إنهم يعملون علنا .. يجتمعون علنا .. يتحدثون علنا .. ينشرون آراءهم فى الصحف والإذاعات وشبكات التليفزيون .. فماذا قال العرب وماذا فعلوا ؟ ..

وهل كان مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ سريا .. وقد أعلن النوايا والخفايا .. ؟

وهل خطة الاستيلاء على القدس سرية .. ؟

وهل مشروع الحكومة الحالية للاستيلاء على نصف الضفة وإقامة مستوطنات جديدة فى قلب الأراضى العربية ووسط تجمعات الفلسطينيين .. هل هذا سر .. ؟

وهل كان صعبا على العرب أن ينشئوا محطات تليفزيون وصحفا ويكوّنوا « لوبى » فى أمريكا .. هل كان صعبا أن يكون هناك تنسيق بين السفارات العربية فى أمريكا .. وبين تجمعات ومجتمعات العرب هناك .. العرب

فى أمريكا كثيرون .. والأموال العربية فى أمريكا كثيرة .. تصور ماذا كان يمكن أن يحدث لو كان هناك نشاط عربى يماثل النشاط الصهيونى .. ؟

ثم هناك نقطة أخرى ..

لا شك أن أمريكا تبحث عن مصالحها .. فهل استطعنا أن نقنع أمريكا بأن مصالحها ستكون فى تأييد العرب مثلما يقنعها اليهود بأن مصالحها فى تأييدهم هم ..

هذه مسائل لابد أن نتحدث فيها ونبحث لأنفسنا عن وسائل للعمل ..

أنا أتكلم بصراحة ..

أنا مصرى .. عربى .. وموقفى الوطنى والعقيدى لا يتغير إطلاقا .. !

وأرجو أن تكون إسرائيل جادة فى طلب السلام .. أرجو أن تكون إسرائيل مخلصة فى السلام .. لأن العرب جادون ومخلصون فى طلب السلام .. وأنا أطالب إسرائيل بأن تقدم الدليل وتبرهن على نواياها .. أطالبها بأن توقف إنشاء المستوطنات .. أطالبها بوقف الاعتداء على أرواح وحريات وكرامة الفلسطينيين .. أطالبها بأن تحترم أحكام القضاء الإسرائيلى ، وتعيد دير السلطان المملوك للكنيسة المصرية بعد أن استولت عليه القوات الإسرائيلية وطردت منه الرهبان المصريين وأعطته لبعض الرهبان من الأحباش ، وحكمت المحكمة الإسرائيلية العليا بتسليم هذا الدير للكنيسة المصرية ، والحكومة الإسرائيلية ترفض تنفيذ الحكم ..

ويقول البابا شنودة :

لقد عانت المنطقة كثيرا من إسرائيل .. وآن الوقت لكى تثبت أنها جار طيب يعرف الله ويحترم القانون .

ويقول البابا شنودة :

إن الجمعية العامة للأمم المتحدة أصدرت قرارا فى عام ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية ، ثم عدلت عن هذا القرار مؤخرا تحت الضغط الأمريكى ، وأصدرت قرارا بإلغاء هذا القرار ، ولكن ذلك لا يغير شيئا من الحقيقة ، فالصهيونية عنصرية ، وليس صحيحا أن الصهيونية شىء واليهودية شىء آخر ، لأن الصهيونية تجرى فى دم كل يهودى ، وإذا لم تكن اليهودية عنصرية فما معنى أنها تعتبر اليهود وحدهم دون خلق الله جميعا « شعب الله المختار » .. أليس فى ذلك شعور بالتفوق .. والتميز .. والاستعلاء . ؟ وما معنى أن اليهودية تسمى باقى الشعوب « الأمم » وتعنى بهذه التسمية أن كل البشر غير اليهود هم مجرد ناس بلا قيمة ولا مكانة .. الصهيونية عنصرية .. حقيقة لا تؤكدها ولا تنفيها قرارات الأمم المتحدة ، فهى عقيدة فى عقولهم ونفوسهم يؤمنون بها سواء صدرت قرارات بالنفى أو الإثبات ..

ويقول البابا شنودة :

إن اليهود ينكرون أن المسيح جاء ، ومازالوا حتى الآن ينتظرون قدوم المسيح ليكون زعيما سياسيا وعسكريا يعيد إليهم ملك داود وسليمان .. أما الإسلام فإنه يقر بوضوح أن المسيح جاء ، وأنه ولد من العذراء مريم ، والإسلام يؤمن بمعجزات السيد المسيح ويذكرها القرآن ، والإسلام يسمى المسيحيين « أهل الكتاب » وفى ذلك اعتراف واحترام لهم ، أما اليهود فينكرون الأديان الأخرى .. والإسلام يضع السيدة العذراء فى مكانة عالية : ﴿يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ .. ولذلك فإن التقارب بين الإسلام والمسيحية شديد ..

□□□

قلت : لقد شاركت فى مناسبات كثيرة من أجل الفلسطينيين ..

قال :

أولا تربطنى علاقة محبة خاصة مع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات .. وثانيا سبق أن ألقيت محاضرات عديدة فى هذا الموضوع .. فى نقابة الصحفيين ألقيت محاضرة عن إسرائيل فى نظر المسيحية عام ١٩٦٦ ، ومحاضرة أخرى عن المسيحية وإسرائيل عام ١٩٧١ ، ومحاضرة فى اللقاء الإسلامى المسيحى من أجل القدس فى مقر الجامعة العربية فى مارس ١٩٩٥ ، ومحاضرة فى مهرجان « من أجلك ياقدس » فى أبو ظبى فى ابريل ١٩٩٥ ، ومحاضرة فى مؤتمر « مسلمون ومسيحيون معا من أجل القدس » فى بيروت فى يونيو ١٩٩٤ بدعوة من مجلس الكنائس العالمى ، ومحاضرة فى نقابة الصحفيين فى أكتوبر ١٩٩٦ ضمن أسبوع القدس ، وفى نقابة الأطباء فى سبتمبر ١٩٩٦ موضوعها « القدس الجريح » ..

فى هذه المحاضرات حددت موقف الكنيسة كما يلى :

- إن اليهود جاءوا إلى فلسطين بوعد من بلفور وليس بوعد من الله ! ..
- إن اعتداء إسرائيل على الأرض الفلسطينية وعلى الدول العربية الأخرى أمر ترفضه الأديان ، والقوانين ، والعقول ..
- إن الكنيسة لا تقبل لفلسطين إلاّ أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة تحكم نفسها بنفسها ..
- إن اتفاقية غزة – أريحا التى تم توقيعها عام ١٩٩٣ بين الفلسطينيين والإسرائيليين ليست إلا خطوة يجب أن تعقبها خطوات .

● إن الكنيسة ترفض مبدأ تدويل القدس ، لأن تدويلها معناه التنازل عن عروبتها .

● إن التطبيع أن نجعل علاقاتنا بإسرائيل طبيعية ، فهل احتلال أرض عربية أمر طبيعى ، وإذا أردنا المنطق السليم لابد أن يرجع جنوب لبنان إلى لبنان ، ويرجع الجولان إلى سوريا ، وترجع الأراضى الفلسطينية إلى الفلسطينيين ، حينئذ يكون الأمر طبيعيا .

قلت : لهذا إذن أطلقت عليك بعض الصحف العربية ألقابا مثل : بابا العرب ، وبابا المقاومة ، وبابا القدس ..

وابتسم البابا شنودة وهو يقول :

– هذه الألقاب من عندهم ولكنها الحقيقة ..

□□□

يقول البابا شنودة : وفى العصر الحديث للأقباط المصريين قضية لايمكن أن يتنازلوا عنها .. وهى فى ذاتها تصلح مثالا لمن يريد أن يعرف حقيقة إسرائيل .. هل تحترم الحقوق ؟ .. وهل تحترم أحكام القضاء الإسرائيلى ذاته ؟ .. وهل تعرف العدل أو تقوم على القوة .. ؟ أسئلة كثيرة مأترك لكم الإجابة عنها بعد أن تعرفوا القصة كاملة .

المصريون الأقباط لهم وجود فى القدس قديم جدا ، يرجع إلى القرون الأولى وحتى أوائل القرن السابع عندما احتل الفرس القدس وقاموا بذبح الآلاف من سكانها ، ودمروا كنيسة القيامة عام ٦١٤ . ولما قام العرب بفتح بيت المقدس عام ٦٣٧ سلم الخليفة عمر بن الخطاب كتاب الأمان

« العهد العمرى » إلى الأنبا صفرونيوس البطريرك فى ذلك الوقت ، وذكر فيه أن الأقباط ضمن الطوائف الممثلة فى كنيسة القيامة ..

وللأقباط المصريين فى القدس أيضا كنيسة المجدلانية .

ولما أعيد فتح مدينة القدس على يد صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧ ميلادية وهزم صلاح الدين الصليبيين فى موقعة حطين تم الاتفاق فى صلح الرملة عام ١١٩٢ على ترك القدس تحت حكم المسلمين بشرط أن يسمح للمسيحيين بالزيارة والحج واستعادة الروم لبعض أملاكهم التى اغتصبها اللاتين .. واستأنف الأقباط المصريون زياراتهم للأماكن المقدسة فى القدس ..

وكانت مكافأة صلاح الدين للأقباط المصريين على إخلاصهم لوطنهم ووقوفهم معه ضد الغزاة الصليبيين هى رد الأماكن التى سلبت منهم ، كما أهداهم دير السلطان . وكان دير السلطان مبنى أقامه أحد السلاطين السابقين على صلاح الدين ليكون نزلا للمصريين وهم فى طريقهم من وإلى الشام وغيرها ..

وللأقباط المصريين فى كنيسة القيامة مقدسات ظلوا محافظين عليها إلى اليوم هى : كنيسة السيدة العذراء ، ومبنى فى مواجهة هذه الكنيسة مخصص لسكنى الرهبان الأقباط المصريين من دورين ، وباب وعمودان فى مواجهة الكنيسة عليهما قناديل وأيقونات الأقباط ، وثلاثة أبواب مقابلة للكنيسة ، ومبنى من طابقين ، وستة قناديل داخل بناء القبر المقدس ، هذا علاوة على أن للأقباط المصريين الحق فى فتح كنيسة القيامة يوم الجمعة الحزينة فيما بين الساعة الخامسة والساعة السابعة مساء وتكرس لهم وحدهم ليطوفوا

بموكبهم فى جميع أرجائها ، ويشتركوا أيضا رسميا فى احتفالات الشعانين والنور المقدس وغيرها ..

أقول هذا لكى يكون واضحا أن حيازة الأقباط المصريين حاليا فى كنيسة القيامة لا تقل فى أهميتها عما فى حيازة طوائف اللاتين والروم والأرمن ، وهذا الأمر اعترفت به الحكومة العثمانية فى وثائق عديدة ، ومن هذه الوثائق كتاب جواد بك متصرف لواء القدس إلى نظارة العدلية فى عام ١٣١٧ هجرية يذكر فيه « إن مطران أفندى طائفة القبط (المصريين) من الرؤساء الروحانيين الذين هم هنا من أول درجة ، ولملته موضع مهم فى أماكن الزيارات » .

أكثر من ذلك ..كان مطران الأقباط (المصريين) يعين بفرمان من الباب العالى ..

إذن فنحن لنا مقدسات فى كنيسة القيامة وملكيتنا وحقوقنا ثابتة بلا منازع ..

□□□

ليس هذا فقط .. فللأقباط (المصريين) خارج كنيسة القيامة بالقدس الشريف ممتلكات أخرى مثل : دير مار انطونيوس ونسميه الدير الكبير .. وفى عام ١٩١٢ أصبح هذا الدير هو المقر الرسمى للمطران القبطى المصرى الذى يعينه بابا الأقباط فى مصر .. وفى هذا الدير مدرسة للبنين .

ولنا أيضا دير مار جرجس أنشئ فى القرن السابع عشر .. وفيه مدرسة للبنات ..

ولنا كنيسة قبر العذراء مريم ، وكنيسة المهد فى بيت لحم ، وكنيسة

الصعود فوق جبل الزيتون .. واستراحة الأقباط التى يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٣٧ ميلادية ، ودير السلطان ..

ويقول البابا شنودة : إن دير السلطان له أهمية كبيرة عندنا .. وله قصة طويلة يجب أن يعرفها كل مصرى بالتفصيل سواء كان مسلما أو مسيحيا لأنها تبين ما هى حقيقة إسرائيل ..

□□□

دير السلطان بجوار كنيسة القيامة وهو من الأماكن المسيحية المقدسة ، ولهذا الدير أهمية خاصة عند الأقباط (المصريين) وقد عنى الأقباط بهذا الدير طوال تاريخهم فلم ينتزع منهم إلا مرة واحدة حين نهبت مدينة القدس عام ١٢٤٥ ميلادية ، وبعد أن عادت القدس إلى حكم الملك الصالح نجم الدين أمر بإعادة بناء سور المدينة وإعادة دير السلطان إلى أصحابه الأقباط .

وكان للأحباش حتى منتصف القرن السابع عشر مزارات وأماكن مقدسة فى القدس ، ومع الوقت احتل الأرمن أملاك الأحباش ومازالت فى أيديهم حتى الآن .

أما دير السلطان فإن ملكية الأقباط المصريين له لم تكن فى يوم من الأيام موضع نزاع .. وكان الكهنة المصريون يقيمون فيه .. واستضاف الأقباط المصريون الرهبان الأحباش فى الدير كرما منهم .. ولكن الرهبان الأحباش نازعوا المصريين فى الدير ، فصدرت وثيقة رسمية من قاضى القدس تتضمن حجة شرعية بأن دير السلطان حق ثابت لأقباط مصر .. وامتثالا للتعاليم السامية ، وبدافع المحبة الأخوية ، أشفق الأقباط على إخوانهم الأحباش واستضافوهم فى دير السلطان ، وكل المراجع وكتب الرحالة تتحدث عن دير السلطان على أنه دير الأقباط المصريين .

ولكن دير السلطان تعرض أكثر من مرة للاغتصاب من اخوتنا الأحباش على مر العصور ، وفى كل مرة كانت الكنيسة المصرية تقدم الوثائق الرسمية والمستندات وتستعيد ملكية الدير ..

هناك أمر مهم يحتاج إلى شرح ..

فى سنة ١٨٧٨ عقدت معاهدة فى برلين اسمها معاهدة ستاتيكو ومعناها « إبقاء الوضع على ما هو عليه » أى عدم المساس بالوضع الراهن فى الأماكن المقدسة ، ونصت هذه المعاهدة على التزام السلطات المسئولة عن القدس الشريف بالمحافظة على الأوضاع الراهنة للأماكن المقدسة . ومن هذه الأماكن المقدسة دير السلطان للأقباط المصريين ، وحائط المبكى لليهود ، والمسجد الأقصى للمسلمين ..

هذه المعاهدة الدولية لم تحترمها إسرائيل بعد ذلك وانتهكت بنودها ..

□□□

التاريخ طويل .. ملىء بمحاولات الأحباش الاستيلاء على دير السلطان ، وفشل هذه المحاولات لأن الحق ثابت فى ملكية هذا الدير للأقباط المصريين ..

وعندما كانت مدينة القدس تحت حكم الأردن صدر قرار من مجلس الوزراء الأردنى بأحقية الأقباط المصريين فى دير السلطان والتقيد بنصوص المعاهدة الدولية ببرلين (ستاتيكو) واستمر الدير للأقباط المصريين حتى عام ١٩٦٧ .

بعد احتلال إسرائيل للقدس استغل الأحباش فرصة الاحتلال الإسرائيلى وعدوان إسرائيل على كل ما هو عربى ، ففوجئ الرهبان المصريون بقوات

إسرائيلية قامت بإخراج أقباط مصر من الدير بالقوة عشية ليلة عيد الفصح فى يوم ٢٤ أبريل ١٩٧٠ وظل هذا العدوان على الدير حتى يومنا هذا ..

□□□

طبعا اسم الدير « دير السلطان » يشير إلى أن رسل السلطان بمصر كانوا يقيمون فيه حين يمرون بالقدس ، كما يشير إلى إعادة هذا الدير إلى الأقباط على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى ..

وسنظل نذكر واقعة احتلال القوات الإسرائيلية للدير فى ليلة عيد القيامة وطردها للرهبان المصريين بالقوة ، واعتداء القوات الإسرائيلية على الرهبان المصريين حتى أصيب منهم ثلاثة ، وعطلت إقامة الشعائر الدينية فى ليلة العيد ..

حدث هذا فى ليلة عيد القيامة عام ١٩٦٩ . ثم تكرر مرة أخرى قبل عيد القيامة عام ١٩٧٠ ..احتل مئات من القوات الإسرائيلية المدججين بالسلاح البطريركية المصرية والدير ، وانتهزوا فرصة ذهاب الأقباط جميعا إلى كنيسة القيامة لتأدية صلاة العيد ، وقاموا بكسر الأقفال على أبواب الكنيستين ، وسلموهما إلى الرهبان الأحباش ، ومنعوا الرهبان المصريين من الدخول عند عودتهم ، وصوبوا البنادق والمدافع الرشاشة إلى صدر المطران المصرى ، وإلى صدور الكهنة ، واقتادوهم واضعين الأسلحة فى ظهورهم فى شوارع المدينة ، واعتدوا على بعضهم بالضرب إلى أن أوصلوهم إلى البطريركية القبطية ..

هذه الإهانة لن ننساها .. ! ..

□□□

بعد ذلك رفع مطران القدس دعوى أمام المحكمة العليا الإسرائيلية بالقدس فأصدرت حكمها فى يوم ١٦ مارس ١٩٧١ بإدانة القوات الإسرائيلية ، وسجل الحكم القضائى الإسرائيلى أن ما حدث هو اعتداء على الأمن والنظام العام ، وطلبت المحكمة من قائد الشرطة فى القدس إعادة الأملاك القبطية المغتصبة قبل يوم ٦ ابريل ١٩٧١ ..

هذا حكم قضائى .. والمفروض أن حكم القضاء فى دولة يجب أن تحترمه الدولة وتلتزم به وتنفذه .. هل فعلت حكومة إسرائيل ذلك ؟ .. لا ..

وبدلا من أن تستجيب الحكومة الإسرائيلية لقرار محكمتها العليا أصدرت قرارا ضد الأقباط ، وكان قرار الحكومة الإسرائيلية هو إبقاء الاعتداء على دير السلطان إلى أن تقوم لجنة شكلتها من وزراء العدل والخارجية والشرطة والأديان لإعادة النظر فى الأمر وتقديم توصياتها لمجلس الوزراء ، وعقدت هذه اللجنة عدة جلسات دون أن تتخذ قرارا أو إجراء .. كان الهدف منها هو التسويف على الطريقة الإسرائيلية ..

واضطر المطران المصرى إلى العودة مرة أخرى إلى المحكمة الإسرائيلية العليا بالقدس عام ١٩٧٧ ، وأعلن المدعى العام الإسرائيلى الذى يترافع عن حكومته أن الحكومة الإسرائيلية تعمل ضد الأقباط المصريين سياسيا ، وطلب من المحكمة عدم الضغط على الحكومة لإنهاء هذه الأزمة فى فترة زمنية محددة لأنها قضية ذات أبعاد سياسية ..

وفى المحكمة العليا الإسرائيلية اختلف القضاة الخمسة ، وأخيرا وصلوا إلى قرار بالإجماع فى ٩ يناير ١٩٧٩ – أى بعد ٨ سنوات من الاغتصاب – وجاء قرارهم الإجماعى انتقادا للحكومة الإسرائيلية ، وتضمن القرار توجيه

اللوم لهذه الحكومة على تصرفاتها التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الأماكن المقدسة ..

وأصبح فى أيدينا حكم ثان من المحكمة الدستورية العليا ..

وحاول المطران المصرى أن يتخذ إجراء لتنفيذ الحكم .. وضاعت كل محاولاته هباء نتيجة التعنت الإسرائيلى .. قدم المطران مئات المذكرات وأرسل برقيات إلى السلطات الإسرائيلية يطالبها باحترام أحكام المحكمة الإسرائيلية العليا ، وهى أحكام نهائية غير قابلة للطعن ، ومع ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية مستمرة فى تجاهل حكم القضاء الإسرائيلى وعدم احترامه ..

وفى كل مناسبة دولية تصدر قرارات إدانة .. وقرارات تؤكد أن الإجراءات التى اتخذتها الحكومة الإسرائيلية باغتصاب دير السلطان إجراءات باطلة ..

دى كويلار السكرتير العام للأمم المتحدة – حينئذ – أبدى اهتماما بالموضوع وبدأ يتحرك وأجرى اتصالات مع الحكومة الإسرائيلية .. دون جدوى ..

حكومة إسرائيل لا تعرف ولا تعترف بالحق أو العدل .. ولا تعرف ولا تعترف ولا تحترم أحكام القضاء حتى القضاء الإسرائيلى ..

وحتى الآن مازال العدوان الإسرائيلى قائما ..

ونتيجة لذلك تعطلت العبادات والصلوات .. واضطرت بطريركية الأقباط المصريين إلى إلغاء الاحتفالات الدينية ..

وحتى بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قام المطران المصرى بكتابة مذكرات يطلب فيها من سلطات الاحتلال الإسرائيلى تنفيذ قرارى المحكمة العليا الإسرائيلية وإعادة المقدسات القبطية المصرية المغتصبة ..

وما زال الاعتداء مستمرا ..

حقوق المصريين فى دير السلطان مؤكدة بالوثائق ..

ومعنا قراران من المحكمة العليا فى إسرائيل ..

وحكومة إسرائيل تقف موقف التحدى .. لا تضع للعدل والحق اعتبارا .. لاتحترم الوثائق .. ولا تحترم أحكام القضاء الإسرائيلى ..

ووزارة الخارجية المصرية تسعى إلى تنفيذ الأحكام ..

هذا فصل من تاريخ أسود طويل .. لا ينفع فيه التزييف ولا التزوير ..

حكومة لا تحترم أحكام القضاء ..

دولة ليس لأحكام قضائها قيمة .. ولا تحترم الشرعية القانونية داخلها ..

كيف تحترم الشرعية الدولية ؟ ..

وكيف تعرف الحق والعدل ؟ ..

كل هذا يحدث لنا ويسألنا البعض : لماذا لا تزورون القدس وهى تحت الاحتلال الإسرائيلى .. ؟ ..

بماذا نجيب .. وماذا ينتظرون منا أن نقول .. استنادا إلى العقيدة .. أو استنادا إلى التاريخ والواقع الحالى ؟ ..

ماذا ينتظرون منا أن نقول .. ؟ ..

وقال البابا شنودة :

إن للأقباط المصريين فى القدس تاريخا طويلا ..

ويذكر التاريخ أن الصليبيين عندما احتلوا القدس اغتصبوا أملاك وأديرة وكنائس الأقباط ..

ومنذ عام ١٢٣٥ ميلادية أصبح الأقباط المصريون فى القدس لهم كيان

دينى مستقل ، وصار لهم مطران يدير شئونهم ، ويتولى ابرشية القدس مطران يعينه بابا الاسكندرية ، وكان أول مطران قبطى رسمى على القدس هو الأنبا باسيليوس فى سنة ١٢٣٦ وجاء بعده مطارنة كثيرون وحتى الآن فإن مطران القدس المصرى هو المسئول عن رعاية الأقباط وأملاك الكنيسة فى المدينة المقدسة ..

والتاريخ يذكر أن الأقباط فى القدس وجدوا الحماية والأمان فى ظل الحكم الإسلامى ، الخليفة عمر بن الخطاب احترم العقائد والكنائس والأديرة المسيحية ، والسلطان صلاح الدين أعاد الأملاك القبطية المغتصبة وحظى الأقباط بالتكريم وظلت حقوقهم محفوظة وكاملة . أما بعد احتلال إسرائيل للقدس فى ١٩٦٧ فقد تغير الحال ، وأصبح الحكم بالقوة وليس بالقانون ، ولم يعد هناك احترام للحقوق ..

وقال البابا شنودة :

إن عدوان إسرائيل ليس على دير السلطان فقط ولكنه ممتد على مقدسات مسيحية أخرى كثيرة ، واعتداءاتها على المسجد الأقصى معروفة ، مما يجعل المسلمين والمسيحيين لا يشعرون بالثقة فى الحكم الإسرائيلى ويطالبون بعمل دولى يوقف محاولات إسرائيل لتغيير طبيعة المدينة ..

وأخيرا قال البابا :

إن دير السلطان ليس فقط مكانا للعبادة يخص الأقباط ، ولكنه من الممتلكات المصرية ، ولذلك فنحن نترك القضية فى أيدى الحكومة المصرية لتتعامل معها بما تراه ، ومعها الوثائق والمستندات وأحكام القضاء الإسرائيلى ذاته .. وكل ما أقوله أن الأقباط فى مصر لا يمكن أن ينسوا الاعتداء .. ولا الإهانة التى تعرض لها الكهنة على أيدى القوات الإسرائيلية .. ولكننا

لا ننظر إلى الموضوع على أنه من شئون الأقباط ولكن ننظر إليه على أنه من الشئون المصرية أولا .. وقضية دير السلطان سبب إضافى لامتناعنا عن زيارة القدس فى ظل الاحتلال الإسرائيلى مع الأسباب العقائدية والوطنية ..

□□□

وبعد ..

فإن إسرائيل التى اغتصبت ممتلكات الأقباط فى القدس .. والتى سلبت حقوق الشعب الفلسطينى .. والتى انتهكت المقدسات الإسلامية والمسيحية – ولا تزال – تزعم مع ذلك أنها دولة دينية .. وإذا كانوا قادرين على خداع العالم فإن قداسة البابا من دون العالم لا ينطلى عليه خداعهم ..

وإذا كان هو الذى يقول : ماذا بقى لهم من الناحية الدينية ؟ .. فكيف يقولون : إنهم أقاموا دولة على أساس دينى .. وكيف تنطلى الحيلة على بعض كتابنا حتى تصوروا أن إسرائيل دولة دينية ..

الآن نعرف الحقيقة على لسان من يعرفها حق المعرفة ..

إسرائيل ليست دولة دينية .

وليس لها أساس دينى حقيقى .

هى فى حقيقتها كيان سياسى . أقيمت لأهداف سياسية . والدعم والمساندة والمساعدة تأتى إليها لمصالح وأطماع سياسية . وحين تتغير المصالح سوف تظهر الحقيقة ..

المهم الآن ألا نبتلع الطعم ونظن أنها دولة دينية .

مهما قالوا ..

□□□